

الاجتماعية والحرية السياسية والوحدة الإنسانية. إن الاستلهام الخصب للتراث يشكل بعض أسرار جودة الصياغة الفنية في معظم الشعر المعاصر "(١).

ويتضح من رؤية د طه وادى حرصه على عاملين مهمين في اكتمال دائرة التوظيف وهما : الاختيار والانتخاب ، ثم الخروج من أسر الإقليمية إلى العالمية ، حتى يؤتى التوظيف ثماره ، فالاختيار سيطرح مجالاً فعالاً أمام الشاعر ويثرى عالمه وأدواته ، والخروج من الإقليمية يجعل الشاعر المعاصر شاعراً إنسانياً في المقام الأول ، يقف مع غيره من شعراء العالم بوصفه جزءاً منه. فيصبح التواصل مستمراً وخلاقاً .

الفصل الثاني

الشخصية وفضاء الرؤية

1- د. طه وادى : جماليات القصيدة المعاصرة ص ٧١.





الشخصية بين المرجع والدلالة :

تعد الشخصيات من أهم العناصر التراثية ، وأكثرها طواعية واستجابة للتعبير عن قضايا الإنسان المعاصر حيث لجأ إليها الشاعر المعاصر كي يعري – من خلالها – آلامه وهمومه الذاتية والجمعية ، مفجراً قدراتها والدالية ، متصلاً بها ، ومنفصلاً عنها في آن واحد ، محاولاً استبطان مكنونها ، واستغلال قدراتها على التوصيل في أعماق حالاتها ووجودها الحي .

ويزخر التراث الإنساني بالشخصيات الفاعلة والموحية ، التي استحوذت على الوعي الجمعي ، فأصبحت ذات رصيد دلالي في ذهن المتلقي ، بجوانبها المتعددة وملامحها المتغيرة ؛ فهناك شخصيات جسدت نوعاً من التمرد على القيم السائدة ، وهناك شخصيات ذات وجه مضيء ، مشرق ، منتصر ، وهناك شخصيات منسحقة تحت وطأة الظلم والاستعباد ، ومنها – أيضاً – الشخصيات التي ضربت المثل الرائع في مواقفها الفكرية والإنسانية .

وقد وجد الشاعر المعاصر ضالته النفسية والفكرية والفنية في الشخصية التراثية، فأصبحت تمثل لديه أداة تعبيرية حية ، استطاع أن يعبر من خلالها عن تجربته ، أو عن بعض جوانبها .

والشخصيات التراثية – في إطارها العام – واقعة في حيز الزمن / التاريخ ، فكل شخصية تراثية هي شخصية تاريخية حسب وجودها ، فمثلاً شخصية كشخصية المتنبي تعد تاريخية وأدبية في الوقت نفسه ، لأنها وجدت في زمن بعينه ، ومارست الشعر الذي ميزها بلمح خاص ، جعلها تنتمي إلى المصدر الأدبي ، وشخصية الحلاج تنتمي إلى المصدر التاريخي ، ولها منزع صوفي عرفت به بلورها وجعلها شخصية

صوفية ، فإذن هناك تداخل وتشابك بين مصادر الشخصيات التراثية ، يجعل البحث - تجاوزاً - يقسم الشخصيات حسب مصادرها والملح الذي ميزها وعرفت به ، حتى يقف على دلالتها ، التي تكشف رغبة الشاعر المعاصر في الاستدعاء ، ومدى اختلاف نظرة كل شاعر للشخصيات المستدعاة ؛ فقسمها البحث - من خلال مصادرها التراثية - على النحو الآتي : ⁽¹⁾.

الشخصية الدينية :

تلقي الشخصيات الدينية قبولاً واهتماماً من قبل الشاعر المعاصر والمتلقي ، حيث تستأثر هذه الشخصيات بمساحة واسعة في مخزون الوعي الجمعي ، لما لها من تأثير روحي وقدسيتها .

وقد وجد الشعراء المعاصرون في الشخصيات الدينية مناخاً للتعبير عن قضاياهم وتجاربهم ، فانتشرت الشخصيات الدينية على خريطة الشعر العربي في مصر ، خصوصاً شخصيات الأنبياء والرسل:

من هذه الشخصيات الدينية التي استلهمها الشعراء - وأخذت حيزاً في قصائدهم شخصية الرسول محمد عليه الصلاة والسلام - ليعبروا من خلالها عن جوانب من تجاربهم المعاصرة . ففي قصيدة " حركة قد تكون الأخيرة في سيمفونية العمر " يتخذ الشاعر محمد مهران السيد شخصية الرسول رمزاً للخلاص ، في ظل انسحاق الإنسان العربي المعاصر على أيدي السلطات المتهرئة المخادعة ، فمحمد هو المخلص والمنقذ:

1- أفادت الدراسة في هذا التقسيم من منهج د. على عثري زابد في دراسته للشخصية التراثية .

" يا منقذ رأس البشرية من حبل جهالتها ..إني خائف
لا شيء ، يقدس بعد حفيدك مطروحا ، ونسائك – في السبي..
زواحف

من تلك اللحظة ؛ لا شيء يذكرنا أو يخجل من سقطتنا
من هذا التاريخ الزائف

.. يا جد حسين ، إن حسينا ما زال بعيداً عن مجرى – الماء ،
ولا يطلب من تجار العرب الصفح !؟

ما زالت زينب ، هذى الجوهرة الربانية ..تدعو من – أعماق
الجرح

أن تبقى رايات جهادك فوق رؤوس مساكين الأرض ، ولو سقطوا
صنفا بعد الآخر ..قربانا للثورة " (١).

يضع الشاعر في هذا الجزء من النص زمنين متقابلين : الماضي العربي
الزاهر /الخلاص والحاضر العربي/ المنطقي / السقوط ، ويعلق الخلاص / الانتظار
في شخصية الرسول ، رمز الإنسان العربي في جهاده ومجده وانتظاره ، رغبة في
الخروج / الثورة ، لخلق واقع مغاير يتصف بالعزة والشموخ العربيين ، بدلاً من سكنى
التاريخ الزائف ، واللجوء إلى الأجنبي المستبد ، ليكون الخلاص : (أن يسعى نسلك
للبيت المكي – لا للبيت الأمريكي) ، ثم يتثبت الشاعر بدعوة الخروج / الجهاد،
بوصفها المخلص مهما كان الثمن : (ولو سقطوا صنفا بعد الآخر – قربانا للثورة)، ثم
يؤكد الشاعر – في نهاية النص – الانتظار والخلاص:

1- محمد مهران السيد : طائر الشمس (القاهرة : الهيئة العامة لقصور الثقافة – أصوات أدبية أكتوبر ١٩٩١).
ص١٠٧-١٠٨.

(حتما ستعود إلى هذا الربع الخالي ..أنفاس الهجرة)^(١).

لقد بقيت شخصية محمد(صلى الله عليه وسلم) محاطة بالحذر عند استدعاء الشعراء إياها ، فمعظم الشعراء المعاصرين كانوا يستخدمونها بدلالات محددة تجنح إلى الدلالة العامة للشخصية ، وقليل منهم من خرج بالشخصية إلى دلالة خاصة .ومما جعل شخصية الرسول تأخذ الدلالة العامة عند استخدام الشعراء لها النظرة التي تنبثق من خلال علاقة الدين بالإبداع ، وعدم القدرة على الفصل بينهما ، فالرسل شخصيات مقدسة في الوعي الجمعي الإسلامي ، لا ينبغي كسر جوانبها المقدسة ، والرسول عليه السلام يحظى بأكبر قدر من القداسة في نفوس الأمة .

ويشير د. على عشري زايد إلى الجانب المتعلق باستخدام شخصية الرسول وتوظيفها فيقول : " كان شاعرنا المعاصر يتحرج من أن يعبر بشخصية الرسول عن ذاته ، وأن يتخذها قناعا يوحى من خلاله بأفكاره الخاصة ، تأثما من أن ينتحل لنفسه شخصية الرسول أو أن ينسب إليه بعض صفاتها ، ولذلك فقد كانت القصائد التي حملت فيها شخصية الرسول دلالات عامة أكثر بكثير من تلك التي حملت فيها خاصة بشاعر معين "^(٢).

أما شخصية المسيح – عليه السلام – فقد كانت أكثر اتساعاً وتحرراً عند تعامل الشعراء معها واستدعائهم إياها ، حيث استخدمها كثيرٌ منهم في قصائدهم ، لتكون بعداً من أبعاد تجاربهم المعاصرة ، متخذين منها أداة رمزية ، تحمل دلالة خاصة ، لاسيما أنهم خرجوا على هالة القداسة التي تحيط بجسد الشخصية ، وسقطوا عليها في أعماق حالاتها فتنوعت الدلالة .

1- السابق نفسه.

2- د. على عشري زايد : استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، ص ١٠٤.

ويعد ملمح الصلب في شخصية المسيح من أكثر جوانب الشخصية إichاء ، حيث وجد في نفوس الشعراء هوى ، لأنه يناسب عالم المكابدة والمعاناة ، الذي يحياه الإنسان المعاصر والشاعر المعاصر " كل صاحب فكرة نبيلة يتعذب من أجلها مسيح"^(١).

ويستخدم نجيب سرور في قصيدته (لزوم ما يلزم) ملمح الصلب رمزاً للعذاب ، والألم ، والهوان من أجل إدانة واقعه المعيش ، وفضح سطوته :

"يا سيداتي .. يا أميراتي الحسان !

ورأيت قديسين في عرض الطريق ،

لا في الصوامع والكنائس ..

والأديرة !

كانوا عرايا .. لا ثياب ولا مسح

ولا عمائم

كانوا جوعاً كاليتامى في الولايم

كانوا عطاشاً .. كالمسيح

لا شيء غير الخل ممزوجاً بمر ..

أعطوه .. وهو على الصليب " ^(٢).

وتأتى شخصية موسى عليه السلام في منزلة أقل – من حيث استدعاء الشعراء لها – إذا قورنت بشخصيتي محمد وعيسى ، فهما متعددتا الجوانب الدلالية – خاصة شخصية عيسى – التي تتناسب مع أبعاد تجربة الشاعر المعاصر ، ولكن شخصية

1- السابق نفسه .

2- نجيب سرور : لزوم ما يلزم ، ص ٢٤.

موسى كانت أقرب إلى الدلالة العامة .فالشاعر أحمد سويلم في قصيدته (أحزان موسى
في العالم الآخر) قد استخدم شخصية موسى رمزاً للعطاء والفعل في مقابل الإنكار :
" حدقوا في ردائي ..في خطوتي ..في عصاي
حدقوا في كتاب التعاليم ..

حين أتيت إليكم – أعيد السلامة استقدم الحب ..استقدم
الوجه من ليله السرمدى ..

- لم أجيء من زمان غريب !

ها أنا يتقاذفني اليم طفلاً ..أغارت على السماء حريقاً ..تمرغ وجهي في الرمل
حيناً

.. ترفق بى الموت حيناً ..

أحمل الآن شارة زهوي ..وشارة موتى ..سعيت إليكم وليس معي غير
(تلك عصاي)

عليها توكأت ..تلك عصاي " أهش على غمي "

تلك إسفاري الحب ..تلك الوصايا

ما لكم تنكرون " ^(١).

استدعى الشاعر شخصية موسى واتحد بها ؛ ليكتب حزنه وآلامه ، فأحزان موسى
فبالعالم الآخر هي أحزان موسى / الشاعر في العالم الأول/ الواقع . لقد تنكر اليهود من
قبل لموسى ، كما يتنكر الواقع المعيش الآن لموسى / الشاعر ، فلقي في سبيل دعوته
ورسالته ما لقي من مشقة وعنت وقسوة .إن رغبة الشاعر في الخلاص ترفع صوته
ليصنع واقعاً يهيمن عليه السلام والحب ، فلماذا التنكر الذي يغطى صدر الشاعر

1- أحمد سويلم : الخروج إلى النهر (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠) ص٣٣-٣٤.

بالإحباط والإنكار ؟ .إنه لم يجيء من زمان غريب ! ، ولو تأمل القارئ علامة التعجب – بوصفها أداة تعبيرية – في نهاية السطر (لم آجىء من زمان غريب!) لوجدها تكشف عن الدهشة والحيرة اللتين تتملكان موسى/ الشاعر .

ومن الشخصيات الدينية التي حظيت باهتمام كثير من الشعراء ، وأخذت دلالات متنوعة ، وفقاً لثراء الشخصية ، وتعدد جوانبها الإيحائية : شخصية يوسف عليه السلام حيث استخدمها الشعراء رمزاً للإيمان بالمبدأ – مهما كانت الصعاب – والاعتصام والعرفان والانتماء . وشخصية نوح عليه السلام التي ارتبطت عند معظم الشعراء بالخلاص والانتظار ، فهو المخلص / الثورة ، الذي يحطم زيف الواقع المعيش .

وهناك شخصيات أخرى لأنبياء ورسل قد استخدمها الشعراء ولكن بصورة ضئيلة إذا قورنت بما سبق ذكره ، منها شخصية يونس الذي ارتبط اسمه بدلالة المكابدة والتحمل ، وشخصية أيوب رمز التحمل والصبر على المصيبة والبلاء .

وبعيداً عن شخصيات الأنبياء والرسل هناك شخصيات دينية مقدسة ، انتشر استدعاؤها في الشعر المعاصر ؛ منها شخصية " مريم ابنة عمران " التي تحتل مساحة كبيرة من القدسية في ضمير الوعي الجمعي .

وهناك شخصيات دينية ارتبطت في ضمير الوعي الجمعي بالشر والبغي والسقوط ، والبطش والخيانة ، مثل : قابيل ، وأبرهة ، وأبى لهب ويهوذا تلميذ المسيح

الشخصية الصوفية :

الشاعر مثل الصوفي ، يحاول جاهداً إكمال نقص العالم ، وفي ضوء هذه المحاولة تنشأ صلة بين الصوفي والشاعر ، تتبلور في سعى كل منهما إلى تصور عالم أكثر إشراقاً ، وأكثر كمالات من عالم الواقع المعيش ولهذا كانت " التجربة الصوفية

والتجربة الفنية لا ينتميان لنسقين مختلفين تماماً ففي كليهما يخطر الوعي الذاتي الذي لا يفتأ أخذاً في التمدد والنمو والانتساع ، وفيهما نبذ للمألوف والمعتاد ، وانتشال النفس من الانغماس في الابتذال ، وتركيز الوعي وحفظه من أن ينزلق في الفراغ والبطالة"^(١).

وإذا كانت التجربة الصوفية – عند صلاح عبد الصبور – والتجربة الفنية "تنبعان من منبع واحد ، وتلتقيان عند الغاية نفسها .وهى العودة بالكون إلى صفائه وتآلفه بعد أن يخوض غمار التجربة " ^(٢) فإن الدكتور عز الدين إسماعيل يشير إلى احتفاظ كل من الصوفي والشاعر بلامحه الخاصة التي تحفظ عالمه الخاص ، وتفرقه عن الآخر فيقول : " إن الصوف والشاعر كلاهما متأمل ، وكلاهما مستكشف .وربما استطاع الصوفي أن يعبر عن رؤيته أحياناً ، ولكن في مراحلها الأولى ، ولكنه عندما يوغل في " الطريق " يستعصى عليه أن يعبر عن رؤيته . و فرق آخر هو أن موضوع الرؤية يظل واضحاً أمام الشاعر في كل لحظة ، في حين يختفي في التجربة الصوفية"^(٣).

لقد وقع الشاعر المعاصر تحت بطش الواقع وقسوته ، فأصبح مكبلاً بالهموم والآلام ، يواجه كل يوم ريحاً عاتية ، تصطدم بكيانه النفسي ، فيحس معها بالاغتراب ، ويكشف عن هذا برمزية صوفية ، تتكى على الرحلة ، والسفر ، والقلق وتفيض تجربته بالحزن والانكسار "ولا ريب أن ما يخالج المتصوف من عزوف عن الواقع اليومي وانفصام عن موكب الحياة من حوله شبيه بما تحسه الذات الشاعرة من

1- د. عاطف جوده نصر : تراث الأدب الصوفي ، فصول ، اكتوبر ١٩٨٠ ، ص ١٠٧ .
2- د. صلاح عبد الصبور : حياتي في الشعر .الأعمال الكاملة (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة لكتاب ١٩٩٣)
ص ١٦٧ .
3- د. عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر ، ص ١٧١ .

تبرم بنفسها وبالوجود ، وهذا الشبه هو ما يجعل النماذج الصافية أكثر طواعية في يد من يريد استغلال ما فيها من قيم رمزية " (١).

وقد فرض الواقع المعيش على الشاعر مناخ التصوف ، فانتشرت ملامحه في تجارب كثير من الشعراء ، إنهم يعيشون حالات انسحاق وانكسار ، فكان حرياً بالشاعر أن يتوق إلى التطهير والخروج إلى الحياة من رحم الصفاء ، إنه يذوب كما يذوب الصوفي شوقاً للوصول ، والسفر في آفاق المجهول ، والشعر هو " اللهفة التي لا تهدأ إلى ما لم نعرفه أو نسيطر عليه بعد ، إنه الطريق التي تقودنا دون توقف صوب المستقبل – صوب المجهول (٢) " .

الشاعر – دائماً – يحس بعبثية الحياة ، ويعانى فقدان التوازن ، وضياح كينونته وسط غمار الموت و" هذا البعد الصوفي في بعض التجارب الشعرية سيظل في كل العصور تعبيراً عن توق الإنسان إلى التوازن والغبطة والتحرر من كل ما يحول دون أن يلهب في حقيقته .وتزداد حاجة الشعراء إلى هذا البعد كلما جثم عليه ما في المدنية والطموح الزائف من غرور وشقاء " (٣).

إن هذه الشخصيات الصوفية تحركت في إطار قضايا مماثلة لقضايا الشاعر المعاصر ، فالصوفي مسكون بالتوجس والخوف والحيرة ، مغترب في عالمه – العام والخاص – وقد يفضى به مناخ الحيرة والقلق والإحساس بالغربة إلى الصراع وفقدان اليقين فمكابدة المتصوف انعطاف روحي في سبيل الوصول .والانعطاف شوق للطريق، وهموم الشاعر المعاصر تلتقي مع هموم الصوفي وقضاياها ، فتتحرك تجربته في إطار الرحلة والسفر وشوق الوصول والاغتراب ، والمجاهدة ، والمكابدة،

1- د. محمد فتوح أحمد : الرمز والرمزية في الشعر المعاصر (القاهرة : دار المعارف ١٩٧٨) ط٢، ص٣٢٢.

2- أدونيس : زمن الشعر ، ص٣١٤.

3- د. عاطف جودة : تراث الأدب الصوفي ، ص١١٩.

والخوف والقلق والحزن " الذي ينبثق كاليانابيع الصافية التي يؤذن هدوء سطحها بأعماق بعيدة " ^(١) ، " ففي المكابدة الشعرية نوع من التصوف يشبه مجاهدة العابد في أداء فرضه الديني " ^(٢) .

ويعد " الحلاج " أكثر الشخصيات الصوفية المستدعاة انتشاراً ، لما تشتمل عليه هذه الشخصية من عناصر إيحائية متعددة ، تتشابه مع قضايا الشاعر المعاصر ، وهو أكثر الشخصيات الصوفية التي نالت اهتمام المستشرقين والباحثين ، فقد كتب عنه ماسنيون كثيراً ، ومن أهم ما كتبه بحثه المسمى " المنحنى الشخصي لحياة " الحلاج " . شهيد الصوفية في الإسلام " ، وكتب عنه " نيكلسون " كتابه " الصوفية في الإسلام " ، وقد ترجمت أعمال الحلاج إلى اللغات الأجنبية وفي مقدمتها الفرنسية . ونتيجة للاهتمام بالحلاج ^(٣) وعالمه انحاز إليه كثير من الشعراء المعاصرين .

فالشاعر السماح عبد الله في قصيدته " الحلاج " يستغل الحالة الصوفية حالة الانجذاب الصوفي أو حالة الانعطاف ، التي تفضي إلى التوحد والامتزاج ، ولم يكن التوحد – عند الصوفية – هو انتقال الذاتين – بعد انصهارهما – إلى ذات واحدة فقط ، وإنما التوحد هو التداخل في الصفات كما يقول ابن عربي ^(٤) . ويأتي انخطاف الشاعر السماح نتيجة لارتقاء الروح وغيضانها ، وانجذابها لحضور المحبوب ، الذي تجلى ، فأوعز فاستجاب المحب / الشاعر :

" وخطفني الخطاف .. "

- 1- السابق نفسه .
- 2- د. محمد فتوح أحمد : الرمز والرمزية ، ص ٢٨٥ .
- 3- والحلاج هو " الحسين بن منصور الحلاج " أحد شيوخ الصوفية في القرن الثالث الهجري ، تتلمذ على يد عمرو المكي أحد أقطاب الصوفية وكبارها في تلك الحقبة وتلقى عنه الخرقعة .. ، كان على علاقة بالجند والشبلى وسهل التستري ، وكانت للحلاج آراء خاصة في الدين والسياسة ، واختلف مع كثيرين من أهل طريقته ، فنبت الخرقعة ، وجمع الناس من حوله ، خاصة الفقراء وحضهم على الثورة ، فصلب وقتل ببغداد بباب الطاق سنة ٣٠٩ هـ والقي برماد جسده – بعد احراقه – في نهر دجلة (ابن خلكان: وفيات الأعيان ، ١/ ١١٩) .
- 4- انظر : سعاد الحكيم : المعجم الصوفي (القاهرة : دنره للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨١) ص ٣٢٠ .

أنا كنت أعاتبه في شيء ضايقتني منه ، وهو..

انتهز الفرصة بين عتابي وتسلل لي ..

وخطفني قبل استكمالي لكلامي ..

صرت أنا المخطوف المأخوذ ..

خطفني منى ...وسكنني..

شوقني لرواحه ، وأنا في حضرته ..

أسقاني الحب ، وزود عطشى

ملاً يدي بأعطاف خوالجه وما مسكني منه"

مسكون بالمحبيب ولكنى صرت أنادمه

لكأن مبتعداً عنه أنا ..أو لكان هو غياب

وغافلني المحبوب..

ولم أك أبغى أن أبكى ، أو أضحك ، أو أستغفر ..

ضللني فيه ، تخلل أطيافي ..

يشابهني في أوصافي ..

أو شبهني بحلاوته حتى بعدني عنى أو قربني ..

منى ...انتهز الفرصة بين عتابي ..

وتسلل لي ...قبل استكمالي لكلامي ..

سموني ..ياناس المخطوف" ^(١).

لقد عاش "الحلاج" حياة قلقة ، يؤمن بالمبدأ ، يجذب الفقراء ، ويعذبه الخلاص ،

حتى سبب قلقاً للسلطة الحاكمة آنذاك ، حتى ألصقت به تهمة الكفر وقتلته ؛ فأصبح

1- السامح عبد الله : الطليعة الأدبية (العراقية) العدد ١١ ، ١٢ ، كانون الأول ١٩٨٩ ، ص ٥٨-٥٩.

الحلاج نموذجاً لمن يصبو إلى الإنسانية ، ويشير صلاح عبد الصبور إلى الحلاج بقوله: " كان عذاب الحلاج طرحاً لعذاب المفكرين في معظم المجتمعات الحديثة ، وحيرتهم بين السيف والكلمة بعد أن يرفضوا أن يكون خلاصهم الشخصي بإطراح مشكلات الكون والإنسان على كواهلهم هو غايتهم ، وبعد أن يؤثروا أن يحملوا عبء الإنسانية عن كواهلهم "(١).

ومن الشخصيات الصوفية التي حظيت باهتمام كثير من الشعراء المعاصرين شخصية محمد بن عبد الجبار النفري صاحب كتاب " المواقف والمخاطبات " ، الذي شكل كثيراً من تجارب الشعراء ، وأثر في لغتهم الفنية وتراكيبهم .

وقد حظى النفري بما حظي به الحلاج ، فاستخدمه كثير من الشعراء للتعبير عن قضاياهم الفكرية والفنية . فالشاعر محمد الشهاوي يستخدم النفري - في قصيدته " النفري ما زال يقول"- رمز المخلص / الانتصار لقيم الإنسانية في مواجهة الزيف، إنه المثقف / شاهد العصر :

فهيا اطلعي للعيون

وخطى على واجهات البيوت لأصحابها

سيرا وتراجم (يا شمس يا قلم الحق)

كي يعرف الطيبون من الخبثاء ..

ولا تكتمي خبراً إنهم - من قبل -

كانوا من الظاهرين

وكانوا قليلاً من الليل ما يهجعون

على الشهوات

١- صلاح عبد الصبور : الأعمال الكاملة ، ص١٦٧-١٦٨.

وها جاء أمر السماء
وزلزلت الأرض زلزالها
وأخرجت الأرض أثقالها
وقال الذين بغوا :

مالها ؟!!

فالمدى ثورة ؛

والجموع تلوح ؛

(النفرى) يرد في ساحة النصر

أحلى المواقف " (١).

أما السهروردي المقتول فيكشف عن مواقف الشعراء وآرائهم ، خصوصاً في
علاقة المثقف / الشاعر بالسلطة ، فالشاعر نصار عبد الله يستخدمه رمزا للشاعر الذي
يلتزم بمبدئه ، وموقفه الذي يفضى به إلى الموت ، لكنه يعرى الواقع المتردي وزيفه ،
فهو أكثر الناس وعياً بواقعه ، وإدراكاً للمأساة .

" أنا شهاب الدين

ولدت مثنى وثلاث ورباع

كبرت في جميع هذه البقاع

ولدت - حتى قبل أن أولد - في الأهواز

وحين بحت للذين كذبوا

بأنني أتأنى اليقين

وأئنني رأيت في الفؤاد رب العالمين

1- محمد محمد الشهاوى : مسافر في الطوفان ، ص ٣٥.

أنا شهاب الدين حين بحث باليقين قتلت ما قتل غيري في حطين " (١).

وهي الشخصيات التي صنعت تجربة إنسانية في الماضي واستطاعت أن تحتفظ لنفسها بالديمومة والاستمرار من جيل إلى آخر في سجل التاريخ وهناك كثير من الشخصيات الصوفية التي استخدمها الشعراء المعاصرون في قصائدهم كابن الفارض المسمى بـ "سلطان العاشقين" ، وفريد الدين العطار ، والغزالي ، ورابعة العدوية ، وبشر الحافي ، وابن عربي ، لم يتسع المجال لتناولها جميعا ، فاكفى البحث بالإشارة.

الشخصية التاريخية :

وهي الشخصيات التي صنعت تجربة إنسانية في الماضي ، واستطاعت أن تحتفظ لنفسها بالديمومة والاستمرار من جيل إلى آخر في سجل التاريخ .
وتجربة ماضي الإنسانية لم تكن قالباً جامداً ، أو جثة هامدة ، فارقتها الروح ، وإنما هي تجربة تنبض بالحياة والحيوية ، كما أن " التاريخ ليس وصفاً لحقبة زمنية من وجهة نظر معاصر لها ، أو إنه إدراك إنسان معاصر أو حديث له فليست هناك إذن صورة ثابتة لأية فترة في هذا الماضي " (٢).

والتاريخ له مستويان من الأداء : التاريخ / أحداث ، والتاريخ / شخصيات ، ونعنى في هذا المقام باستدعاء التاريخ / شخصيات .

لقد استخدم الشعراء الشخصيات التاريخية في التعبير عن أفكارهم وقضاياهم المعاصرة ، التي يعيشون من أجلها ، ويؤمنون بها ، ويدافعون عنها ، إنها رغبة لنقل

1- نصار عبد الله : أحاديث أخرى عن المقتول ، إبداع ، مارس ١٩٩٢ ، ص ١١٦ .
2- د. مصطفى ناصف : دراسة الأدب العربي (القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر د.ت) ص ٢٠٦ ، ٢٠٥ .

هموم الواقع المعيش إلى المتلقي ، ورغبة في مواجهة الحاضر المنكسر عند الشعراء المعاصرين في نوعين هما :

أولاً : الشخصيات الإيجابية :

والمقصود بالشخصيات الإيجابية هي تلك الشخصيات الفاعلة ، التي قامت بدور إيجابي ، وأصبحت تحتل مساحة عريضة مضيئة في ضمير الوعي الجمعي ، لما لها من دلالة مشرقة ، فاتخذها الشعراء رمزاً للخلاص ، والقيم النبيلة ، والإيمان بالمبادئ . إنها شخصيات الإنسانية في أعظم حالاتها ومن أمثلتها عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان ، وخالد بن الوليد ، وسيف الدولة الحمداني ، وصلاح الدين الأيوبي. الشاعر محمد مهران السيد في قصيدة (الوردة والصقر) يستخدم شخصية خالد بن الوليد بدلالة مقابلة لموروثها ، ليبرز المفارقة بهذه الدلالة المعكوسة ففي الواقع التراثي خالد بن الوليد بطل مهياً للحروب والمواجهة والكر والفر ، وسيفه بوصفه متعلقاً ووسيلته في إثبات ذاته – كان مسلولاً من غمده دائماً يحرز انتصارات . أما عند مهران السيد فقد بدا خالد ضعيفاً ، فقد صولته ورجولته ، وأصبح سيفه – في ظل الواقع المعيش – مخنثاً؛ فقد رجولته ، وهيبته الحربية ، وقدرته على الإنجاز بل إنه لم يصبح حليماً وانتظاراً . ثم يفضح الشاعر واقعه الرديء وما آل إليه ، حيث خلع مجده العربي القديم ، وارتدى رداء أعدائه :

"تخنث في الغمد سيف الوليد

وألبست الأرض زينتها من هبات اليهود"^(١)

1- محمد مهران السيد : طائر الشمس (الهيئة العامة لقصور الثقافة أكتوبر ١٩٩١) ص٤٦ .

الشخصية الموقف:

المقصود بالشخصية الموقف هي الشخصية التي اعتنقت مبدأً ، وعاشت له ، ودفعت حياتها ثمناً لإيمانها به وتحملت في حياتها ، ما تحملت من الإيذاء والاضطهاد ، وبعضها سال دمه ليكتب على صفحة الحياة موقفه النبيل ، القادر على صنع الإنسانية في أسمى مفاهيمها .

ومن الشخصيات التي ضربت مثلاً في الإيمان بالمبدأ ، والالتزام بالموقف والدفاع عنه : الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري ؛ الذي يعده بعض الباحثين مفكراً اشتراكياً استوعب - بصفاء - ، اشتراكية الإسلام ، فوقف طيلة حياته شامخاً كالطود ضد بذخ الحكام والولاة وإسرافهم ، ووقف ضد نشأة طبقة الأغنياء في المجتمع الإسلامي ، مصرّاً على أن الناس سواسية كأسنان المشط .

لقد وجد الشعراء في شخصية أبي ذر الغفاري مجالاً تعبيرياً ، وطاقة إيحائية ومرفأً يريحون عليه جوانحهم المتعبة من هموم الحياة ، وقسوة الواقع ، واختلال المبادئ والأنظمة ؛ من حالات التمزق التي تعتري الإنسان المعاصر .

ففي قصيدة " فوق ذراعي نقش باسم أبي ذر " يستخدم محمد أبو دومة شخصية أبي ذر الغفاري رمزاً لمواجهة السلطة ، وكشف عريها بالكلمة الفاعلة القوية ؛ التي لا تضل طريقها ، فالكلمة القارة على الفعل أمضى من سيف أهوج ، لأن السيف ليس أداة التعبير والتقويم الأمثل ، وإنما الكلمة الصادقة المستبسلة :

"ولبطن الأرض أحب إليّ ،

فإن ترفع مقتك أو لا ترفعه عنه ، لن يبتر سيفوك البررة ،

قلبي من أضلاع الحق ، ولن يسجن عسسك كلمات زرعته ،

شفتاي بأعماق الريح المندفعة من أفواه السخط"^(١).

وهناك شخصيات لها مواقف ودعوات نبيلة ؛ سال دمها الطهور من أجلها ، واستشهدت في سبيل دعواتها ومواقفها ، منها شخصية حمزة بن عبد المطلب – عم الرسول – عليه الصلاة والسلام وشخصية عبد الله بن الزبير ، والحسين بن علي . فلقد سال دم الحسين ، فكتب أنصع صفحة في سجل التاريخ ، وكشف عن أنبل موقف ؛ يمثل نمودجا للإيمان بالمبدأ . فالشاعر محمد محمد الشهاوى في قصيدته "النهار ومحكمة كل ليلة " يتخذ الحسين رمز المتصدي لقوى البغي والباطل ، في مقابل التضحية بنفسه من أجل الإيمان بمبدئه حتى إن كان الخلاص دموياً :

"عيناك يا حبيبتي وحيرتي حوار

وإن يلفنا الممات ظامنين

فإنما لكل أمة حسين"..^(٢)

ثانيا : الشخصيات السلبية :

هذا النوع من الشخصيات التراثية يمثل القهر والسلطة في أعطى جبروتها ، وقسوتها وظلمها ، وحبها لسفك الدماء ، حيث سطرت هذه الشخصيات سطوراً مظلمة في سجل التاريخ ، وارتبطت في قرار الوعي الجمعي بالسقوط والسلبية ، وأصبحت دلالة على كل حقبة تاريخية تتميز بالبطش والقسوة والخداع والمداينة ؛ كشخصية معاوية بن أبى سفيان ، ويزيد بن معاوية ، وزياد بن أبيه ، والحجاج بن يوسف الثقفي ، وكافور الأخشيدي ، وجنكيز خان ، وغيرهم ..

1- محمد أبودومة: السفر في أنهار الظلم (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩) ص ٨٢

2- محمد محمد الشهاوى : زهرة اللوتس ترفض أن تهاجر ، ص ٢٩.

فالشاعر أمل دنقل يستخدم معاوية بن أبي سفيان رمزاً للمخادع والمداهن الذي ينتزع السلطة بالمكر والحيلة ، ويعرف من أين تؤكل الكتف ، فيقول في قصيدته :
"الموت في .. الفراش ":

"أيها السادة لم يبق انتظار

قد منعنا جزية الصمت لمملوك وعبد

وقطعنا شعرة الوالي ، ابن هند " (١).

لقد شهدت الحقبة التي عاشها (معاوية بن أبي سفيان) اضطراباً كبيراً ، حيث بدأت الفتنة تشتعل عندما دب الخلاف بينه وبين علي بن أبي طالب ، وانقسم الناس – في ذلك – شيعاً وأحزاباً.* وقد اتبع معاوية سياسة اللين والمداينة والحنكة حين اعترف بسياسته في عبارته المشهورة : " لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت ، لأنهم إذا شدوا أرخيت ، وإن أرخو شددت .."

ويكشف الشاعر محمد صالح الخولاني – عن البعد نفسه : السلطة المخادعة المضللة – في قصيدته " رسالة الحر الرياحي الأخيرة إلى أبي سفيان ":

كنت أرتاد على خطوك في حلمي مراد الكبرياء

وأرى في سمك الفارس سمت النبلاء

وأحس الزمن المرجو قد أذن للصبح وجاء

غير أنى يا أمير المؤمنين

برقت لي من لياليك سحابات كذوب مفتراه

أظمأتني فوق متن الريح أزمانا وما جاءت بشي " (٢).

1- أمل دنقل : الأعمال الكاملة (بيروت : دار العودة ١٩٨٥) ط٢ ص٢٤٨.
2- محمد صالح الخولاني : في ذاكرة الفعل الماضي (القاهرة : الهيئة العامة لقصور الثقافة ، أصوات مارس ١٩٩١)، ص٨.

لقد عانى الإنسان المعاصر بصفة عامة والشعراء خاصة من تتابع سلطات منحلة ، وحكام ضعاف ، أهدروا كيان الإنسان العربي ، وطمسوا ملامح نخوته العربية ، وصلابة مجده وشموخه ، وأصبحت السمة الغالبة على السلطة المعاصرة السلبية والانحلال ، والرجولة المسلوبة ، كما في قصيدة أمل دنقل " من مذكرات المتنبي " حيث يتخذ كافوراً رمزاً للانحلال والسقوط والسلطة الضعيفة المهزومة ، بل يضع الماضي بشموخه في مواجهة الحاضر المنكسر :

" أمثل ساعة الضحى بين يدي كافور

ليطمئن قلبه ، فما يزال طيره المأسور

لا يترك السجن ولا يطير !

أبصر تلك الشفة المثقوبة

ووجهه المسود ، والرجولة المسلوبة

..أبكى على العروبة

..يومي يستنشدن ! أنشده عن سيفه الشجاع

وسيفه في غمده يأكله الصدا" (١)

أما ملمح البطش والجبروت في الشخصية التراثية – السلطة بل كيانها – يتجسد في شخصية " الحجاج بن يوسف الثقفي " ؛ الذي ارتبط اسمه بالحفاظ على ملك الأمويين والدفاع عن مصالحهم ودولتهم ، ضد من يعلن العصيان والخصومة ضدهم، وقد استخدم الحجاج كل السبل الدموية في تصفية خصوم بني أمية ، ولم يهمل سلاحا

1- أمل دنقل : الأعمال الكاملة ، ص ١٨٩ .

فعالاً - مشروعا أو غير مشروع - في ممارسته السياسية ، وأعلن عن نفسه بأنه سفك الدماء ، وفعل الأمور التي لا يقدر عليها أحد ^(١).

وقد افتتن الشعراء المعاصرون بشخصية الحجاج افتناناً كبيراً ، وعبروا من خلالها عن قضاياهم ، خاصة أنه يمثل طرفي المعادلة - التي يكابدها المثقف المعاصر بوجه عام، والشاعر بوجه خاص- الصراع بين الكلمة / المثقف ، والسيف / السلطة ، فالذي يزعج السلطة دائماً ؛ ويسبب لها قلقاً هو المثقف ، لأنه أقدر الناس على الاكتشاف والمواجهة ، وكشف العرى والزيف وهذا " عبده بدوى" يستخدم شخصية الحجاج رمزاً للجبروت والبطش ، رمز الحاكم الذي يهيمن على الرعية بقبضة من حديد فيقول :

" يا أهل الكوفة

لا يجتمع اثنان

إن يجتمعا فالثالث سوف يكون السيف!

لا يلقي إنسان أذنه

إن سار وخلاها فسأقطعها

وسأقطع منه الكف

فلقد كان الأخرى به

أن يحشرها في أذنه

إشفاقاً من صوت الحرف" ^(٢).

1- لمزيد من التفاصيل : راجع : ابن خلكان : وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان ، ؟ تحقيق إحسان عباس (بيروت :

دار الثقافة ديت) ج ٢ ، ص ٢٩ وما بعدها .

2- عبده بدوى : دقائق فوق الليل ، ص ٦٢.

وهناك شخصيات تاريخية كثيرة وردت الإشارة إليها في قصائد الشعراء لم يتبلور لها رمز واضح المعالم ، كما يشير السياق . وهناك شخصيات إشارية ليست لها رصيد معرفي في مخزون الوعي الجمعي ، فأثرت الدراسة عدم التعرض لها .

الشخصية الأدبية :

تفاوتت الشخصيات الأدبية من حيث كثرة الاستخدام وقلته ، فهناك شخصيات قد هيمنت على رؤى الشعراء المعاصرين – وانتشرت انتشارا واسعا كشخصية امرئ القيس ، وعنترة بن شداد ، وأبى الطيب المتنبي – لما لهذه الشخصيات من تعدد إيحائي وثرء دلالي . فالشاعر امرؤ القيس كان متعدد الجوانب ، عاش قضايا كثيرة ؛ فهو الشاعر الذي خرج على الأعراف القبلية ، والتقاليد العربية ، بل خلق لنفسه منهاجا خاصا ؛ فهو الشاعر الضليل ، والملك ، والعاشق والفارس والماجن ، عاش في طقس متعدد الجوانب ، فقد جاء وجده الحارث ملك على كندة ، وسلطانها يمتد فيشمل الحيرة ، وأبوه وأعمامه يتقاسمون قبائل وسط الجزيرة وشمالها الشرقي ، يحكمونها بالسياسة طورا وبالقهر أطوارا ، وكان هو أصغر إخوته ، فلم يكن بدعا أن يصبح الولد المدلل الذي يقضى نهاره في صيد ولعب ، يسهر ليله في شرب وطرب ، ويرافق في هذا جماعة من صحبه ممن هم على شاكلته ، من أبناء أسرته المالكة ^(١) .

وكان امرؤ القيس على خلاف دائم مع والده حجر بن عمرو ، الذي لم تكن صلته قوية ، بل كان يكرهه ، حتى إنه دعا مولى له أن ينطلق بابنه امرئ القيس ويقتله ، لكن المولى لم يفعل ، فاضطر حجر إلى طرد امرئ القيس خارج قبيلته ، فظل يهيم على وجهه شريداً طريداً ؛ يحمله مجونه ولهوه من بلد إلى آخر ، ثم آلت إليه وصية والده –

1- أنظر: الطاهر أحمد مكي: امرؤ القيس، حياته وشعره، طء القاهرة: دار المعارف ١٩٧٩ ص ٥٨

بعد أن رفض أبناء حجر تنفيذها – أن يأخذ ثأره من بني أسد ، فقال عبارته المشهورة :
" ضيعني صغيراً ، وحملني دمه كبيراً ، لا صحو اليوم ولا سكر غدا ، اليوم خمر
وغدا أمر ". وقد خذلتها القبائل ؛ فلجأ إلى القيصر ؛ ليساعده في الثأر لأبيه ، ولكن
القيصر انتقم منه عندما علم – من الوشاة – بعلاقة امرئ القيس بابنته ، فأرسل إليه
حلة مسمومة منسوجة بالذهب ، فلبسها وسقط جلده ^(١).

وقد وقع الشعراء على الجوانب الدلالية الموحية في شخصية امرئ القيس ،
وتعددت الدلالات حسب اختلاف الرؤى ، فاستلهموا جوانب تبلور تجاربهم ، وتكشف
عوالمهم ، ففي قصيدة (معلقة جديدة لامرئ قيس جديد !!)، يستخدم محمد أحمد العزب
امراً القيس رمزاً للانكسار ، فهو امرؤ القيس / المعاصر : الفارس المهزوم ، الذي
يؤثر التفهقر والفرار من ساحة المواجهة :

"وقد اغتدى ...

والمغول يجوسون في رثتي ،

بقيد الأوابد ،

وعد الجنان !!

مكر..

مفر..

يكر..

أفر..

ويقبل..

أدير..

1- راجع : الأغاني ، ج ٩ ، ص ٧٧ وما بعدها .

يلتحم النسر والبط ..

وقتا ريكيا .. ريكيا..

ويسترخيان..

(توراة فتح جديد) ..

ونقرأ نحن ..

تواشبح محو كيان الكيان !!!^(١).

أما شخصية عنتره بن شداد العبسي فنالت إعجابا كبيرا ؛ فانتشر استخدامها برؤى وملاحم متعددة ، فحياة عنتره متعددة الجوانب ، فهو الفارس المغوار ، والشاعر الخلاق ، والعبد الذليل الذي عانى ذل العبودية في قومه ، وهو الحبيب الذي يغامر بنفسه من أجل محبوبته والعاشق الفائز.

يستخدم فوزي العنتيل شخصية عنتره بن شداد رمزاً للثورة ، ويخلع عليها معطيات المنتظر/ المخلص ، فهو الماضي الزاهر القوى الفاعل أمام الحاضر السلبي .يقول العنتيل في قصيدته (رحلة في أعماق الكلمات) :

" يا عنتره العبسي هتفت حزين النبرات :

كلماتك عانقها سيفك

في عرس الدم

فتلألأ نور حسامك في فجر الكلمات

ودعاك الموت فلم تحجم

حدثني كيف مذاق الموت؟ وما لونه ؟

أنشدني ، حتى تزهري في روعي الجنة " ^(٢).

1- محمد أحمد العزب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص٢٤٦،٢٤٧.

2- فوزي العنتيل : رحلة في أعماق الكلمات ، ص٢٣.

تعانى كثير من الشعوب من جبروت السلطة ، واختلال أنظمتها الحاكمة ، فيسود المجتمعات التدهور و التفسخ ، وتحمل الشعوب المغلوبة على أمرها تبعات الاختلال والجبروت وكبت الحريات عاش عنتره بن شداد في مجتمعه هذه المفارقة ، حيث ظفر سادة بنى عبس بنعيم العيش ورغده ، وعانى ذل العبودية وحرمانها ، وعندما تعرضت قبيلة عبس للهلاك والسبي والخطر ، ترك السادة الميدان خالياً ولاذوا بالفرار ، ليتحمل عنتره وحده عبء المأساة !

ومن الشخصيات الأدبية شخصية أبى الطيب المتنبي ، وقد افتنن الشعراء بها افتنانا كبيراً ، حتى إننا نكاد نطالع وجهه في كل ديوان معاصر .
والمتنبي شخصية عربية الاعتزاز والنخوة ، طموحة تسعى إلى المجد والرفعة ، كان شديد الاعتداد بنفسه ، والإيمان بحقه على أهل زمانه . " ولم يكن أبو الطيب يتغنى بالثورة والمجد عبثاً ، ولا كان عاجزاً يمنى نفسه بالقول دون الفعل ، وإنما كان يسعى لآماله يسعى الشيخ المجد " ^(١).

كان المتنبي شاعراً صلباً مزهواً حتى في علاقته بالسلطة ، فقد اشترط على سيف الدولة الحمداني ألا ينشد شعره واقفاً ، وألا يقبل الأرض بين يديه كسائر الشعراء . كان جديراً أن تحتل هذه الشخصية صفحة ناصعة في مخزون الوعي الجمعي ، فأقبل الشعراء على استدعائها .

الشاعر محمد محمد الشهاوى في قصيدته (وثيقة) استخدم شخصية المتنبي رمز المتقف / الشاعر الذي يلتزم بمبدئه ، ويضحى من أجل موقفه ، رمز المواجهة ، فلقد واجه أبو الطيب المتنبي الموت ولقى حتفه لأنه التزم بموقفه عندما خرج عليه " فاتك بن أبى جهل الأسدي " ، لينتقم لابن أخته " طبقة " وكان ابنه محسد وغلماؤه أقل من

1- عبد الرحمن البرقوقي : شرح ديوان المتنبي ، ص ٣٣، ٣٤.

عدوه عددا ، ولكن المتنبي قاتل – ملتزما بموقفه – حتى قتل ، وقتل ابنه يقول محمد الشهاوى :

" (كان يمكن للمتنبي الفرار

لكنه قد أبى)

هكذا قلت حين رأيت الصحاب

وقد هربوا واحداً واحداً

تاركين صياصيتهم والمعارك !

فادفع اليوم عمرك – يا صاحبي – ثمنا لاختيارك " (١)

ويأتي أبو نواس الذي ارتبط اسمه في ضمير الوعي الجمعي بالتمرد والخروج على التقاليد والأعراف ، ونبذ الوقوف على الأطلال ، وإدمان الخمر – ضمن الشخصيات التى انتشرت في الشعر العربي المعاصر انتشارا واسعا ، حيث وجد الشعراء المعاصرون في شخصيته أبعادا تناسب تجاربهم وهمومهم خصوصاً في حديثه عن الخمر ، الذي يؤكد علاقة الشاعر بعصره ، والانطلاق من خلاله للتعبير عن رؤاه.

أما شخصية الخنساء فقد ارتبطت في ضمير الوعي الجمعي بالمأساة والحزن ، فقدت أباها صخرا ، وأوقفت جل إنتاجها الشعري في رثائه ، ثم فقدت أبناءها الأربعة في إحدى الغزوات ، وتضافرت عليها المحن والأزمات ، فكانت رمزا للفاجعة والمأساة ، وأقبل عليها الشعراء المعاصرون يستخدمونها بهذا البعد ، فالشاعر أحمد سويلم يستخدمها في قصيدة (الخنساء توصى أبناءها الأربعة) رمزا للوطن المفجوع ؛ الذي ألمت به الكوارث ، وتضافرت عليه المحن . إنه الواقع العربي بكل مأساته

1- محمد محمد الشهاوى ، إبداع ، مارس ١٩٨٨ ، ص ٣٧.

" لكنك يا خنساء أدت لنا ظهرك فوق التل

أجريت دموعك أنهاراً ..

أبكيت طيور الساحة

انفرطت من أيدينا باقات الغلواء!

كدنا .. يبرأ منا قلبك

أنكرت العودة .. والجلبة .. والزهو المتخم

وأشرت إلى جرح الوطن على ساحلنا - لم يهدأ -

وأشرت إلى قلب ما زال ينن .." (١)

وهناك شخصيات أدبية ارتبطت بقضايا عاطفية ، ضربت النموذج في العشق ، ووجد فيها الشعراء المعاصرون فرصة للخروج بها من إطارها العاطفي المحدود ، ليحملوها بقضايا أكثر اتساعاً وشمولاً . فالشاعر مصطفى رجب في قصيدته (اعتراف جديد لابن أبي ربيعة) يستغل الشاعر العاشق عمر بن أبي ربيعة في علاقته بمحبوبته "هند" حيث يتخذ " هند" رمز المعشوقة المسوفة ، المخادعة ، الكاذبة ؛ التي لا تفي لعاشقها بوعده ؛ فتشفى غليله ؛ وتطفي لظاه ، فهي المعشوقة / الوطن ، التي سحقت عشاقها ، وغزت أفئدة الجوع بأحلام كذاب ، بل إنها أخرجت عشاقها يوم تعرت بينهم وقعدت ، وإن سئلت عن وعدتها قالت : بعد غد :

"ليت هنداً أنجزت ، أو عزت للناس أن قد أنجزت ،

أو أوجزت في الوعد لما وعدت !!

ليت هنداً ما غزت أفئدة الجوعي بأحلام كذاب ، ليتها

من قبل أن تبرق رعدت !!

1- أحمد سويلم : السفر والأوسمة ، ص ٧٢، ٧٣.

إن هذا أخرجت عشاقها ووكزت
من وكزت ، ووخزت من وخزت ، وقتلت من قتلت ،
وحين عوتبت أبت أن تسمع العتب ، بدت كأنها ما سمعت
ولا وعت ..تباعدت !!

كلما قلت متى ميعادنا ؟ ضحكت هند وقالت : بعد غد!!!"

وقد استخدم الشعراء شخصيات أدبية كثيرة ؛ بعيدا عن شخصيات الشعراء
القدامي ، مثل شخصية : عبد الله بن المقفع ، والجاحظ ، وبديع الزمان الهمداني ،
والمويلحي ، وغيرهم ، وكان استخدام الشعراء لها استخداما غائما يعتمد في أغلب
الأحيان على الصورة الجزئية .

الشخصية الفولكلورية :

الأدب الشعبي أو الفولكلور *Foilklore*"يرادف عند بعض العلماء المعرفة
الدارجة ، وهو حصيلة ما تراكم من الخبرات والمعارف ، والممارسات عبر الأجيال،
بما يعد من قبيل الثقافة التقليدية ، وهى تختلف عن المعرفة العلمية .وهكذا يمكن أن
يقال إن علم الفولكلور هو ذلك الفرع من فروع المعرفة الإنسانية ، الذي يهتم بجمع
وتصنيف ودراسة المواد الفولكلورية . بمنهج علمي لتفسير حياة الشعوب وثقافتها عبر
العصور ".^(١)

وتعد الشخصيات الفولكلورية من الشخصيات التراثية المرتبطة بالوعي الجمعي
ارتباطاً عميقاً ، نظراً لوضوح ملامحها ومعالمها التراثية ، وكثرة تداولها على المتلقي
العربي .

1- د. عبد الحميد يونس : معجم الفولكلور (بيروت ، مكتبة لبنان ١٩٨٣)ص١٧٣.

وتتنمي الشخصيات الفولكلورية إلى ثلاثة مصادر أساسية هي : " ألف ليلة وليلة" ، " السير الشعبية " و " كليلة ودمنة " . وتعد شخصيات " ألف ليلة وليلة " أكثر المصادر الثلاثة انتشاراً واستحواداً على اهتمام الشعراء .

فقد التفتوا إليها بوصفها فنياً ، يمكنهم النهل منه ، كما يمكنهم نقل تجاربهم وهمومهم إلى المتلقي بواسطته ، خاصة بعدما أدرك المستشرقون ما في هذا النبع الفيض من ماء عذب^(١) يبلل الظمأ ، ويبعث في جسد التجربة الشعرية نشوة الحياة .

وتأتى شخصية السندباد البحري في مقدمة شخصيات " الليالي " فهي أكثرها انتشاراً؛ لتنوع ملامحها الدلالية ، ويشير د. على عشري زايد – إلى أحد العوامل التي لفتت أنظار الشعراء المعاصرين – فيقول : " لا شك أن جهود الدكتور حسين فوزي في مجال إلقاء الضوء على هذه الشخصية ، وقدرتها على حمل الأبعاد المتعددة لتجربة الإنسان المعاصر ، ومغامراته في دروب الوجود"^(٢) .

فالسندباد هو ذلك التاجر الجواب الذي يطوف البلاد بحثاً عن الكنوز والطرائف والعجائب ، ويقاسى في رحلاته ؛ حيث يتعرض – خلالها – لأصعب المواقف ، يجتازها بعد مكابدة ، وهو عند د. حسين فوزي " صورة رجل بعيد الهممة متوثب الروح ، تواق إلى المعرفة ، متوقد القريحة ، واسع الحيلة ، لا يستسلم لمصيبة ، ولا يجنثو لصروف الحدثان . والسندباد بهذا علم على جميع الرواد المستكشفين " ^(٣) .

1- لمزيد من التفاصيل حول هذه القضية راجع :د. على عشري زايد : استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر المعاصر ، ص ٩٥ وما بعدها و : الرحلة الثامنة للسندباد (القاهرة : دار ثابت للنشر والتوزيع ١٩٨٤) ص ٣٧ وما بعدها .

2- د. على عشري زايد : الرحلة الثامنة للسندباد ، ص ٤٧ .

3- د. حسين فوزي : حديث السندباد القديم (القاهرة : لجنة التأليف والنشر ١٩٤٣) ص ٣٦٢، ٣٦١، نقلاً عن السابق نفسه.

وقد كانت رحلات السندباد ومغامراته " استجابة لنزعة فطرية في نفسه إلى المغامرة وركوب الأخطار ، ومحاولة إثبات ذاته وإضفاء معنى على وجوده من خلال ارتياد المجهول والمغامرة "(١).

والشعر مغامرة وسفر دائم في دروب المجهول . إنه كشف وخلق ، إمعان في الذات ، وسعى لاكتشافها ، ومحاولة لكسر الجمود والثبات ، لأنه حركة وتجاوز دائماً إلى الأمام . الشعر تحقق من خلال الخروج ، والدخول إلى عوالم جديدة ، لذلك كله كان السندباد

أداة ملائمة لهذه الرؤى ، وملاذاً للشعراء ، وشاطناً يريحون عليه جوانحهم المتعبة ؛ فهو يحمل " وجه من يعاني قريراً مخاض الميلاد الشعري ، ويكابد أهوال الرؤية الشعرية ويخوض أخطارها في سبيل الوصول إلى جوهر الفن الصادق ، واكتشاف كنز الشعر البكر الذي لا يصل الشاعر إى عبر رحلة طويلة من المعاناة الباهظة " (٢).

ويرى الدكتور عز الدين إسماعيل أن هذه الشخصية عادية وغير عادية في الوقت نفسه ، هي عادية على المستوى الجمعي للإنسان ، لأنه قصة إجمالاً – وفي إيجاز – هي قصة المغامرة في سبيل كشف المجهول – وهى غير عادية على المستوى الفردي ، لأننا ألفنا الفرد الذي تتلخص فيه التجربة الإنسانية نادراً (٣).

وقد تنوعت دلالات السندباد في قصائد الشعراء كل شاعر يستجيب إلى الدلالة التي تناسب تجربته الفنية والنفسية ، ففي قصيدة : (هكذا غنى السندباد) لعبد المنعم عواد يوسف يبدو السندباد رمزاً للإنسان المهزوم المنكسر المتعب ؛ الذي لم يأخذ من

1- د. على عثري زايد : الرحلة الثامنة للسندباد ، ص ٢٧.

2- السابق ص ٥٤.

3- د. عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر ، ص ١٧٥.

مغامراته غير الندم ؛ ولم يحز شيئا غير الأسى والألم ، كما أنه لم يأخذ من ركوب البحر غير خواء المحار ؛ حتى فقد – من كثرة انكساراته وهوانه وآلامه – ملامح وجهه القديم ، ونسى كل ماضيه الجميل :

" وقالوا : " تعلمت من خوضك البحر

لا ، ما تعلمت غير الندم

وقالوا : " وحزت الكنوز الكبار " ،

وما حزت غير الأسى والألم ...

وقالوا : " ومن يجتز البحر يرجع بدر البحار

أقول لكم :

تغربت حتى نسيت ملامح وجهي القديم ..

تغربت حتى نسيت اسم أمي ، واسم أبي ،

وأهلي وكل الأحباء والأصدقاء

وحتى حبيبة روعي التي ذات يوم أضاعت حياتي بأبهي ضياء

نسيت اسمها

وما عدت أذكر غير التغرب عبر البحار

طوال الليالي ، وطول النهار

فيومي عذاب ، وليلي سهاد

أنا السندباد

أنا السندباد " ^(١) .

1- عبد المنعم عواد يوسف : هكذا غنى السندباد (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢) ص ٩٣ ، ٩٢ .

وفى قصيدة (رحلة) للشاعر الدكتور عز الدين إسماعيل يبدو السندباد رمز المغامر المجازف ، الذي يسعى لخلق حياة ترقى على الواقع المعيش ، على الرغم من أن رحلته مصحوبة بالأسى والحزن (خلف الشجون والدموع والعرق) لكنه يحلم أن يعود بالنضار – رغم مكابدة الأخطار والأهوال – فيكتب على قلوب المنتظرين مجيئه ودهشته ، ويخطف أبصارهم ، فهو المحمل بالوعد ، ويطرح الشاعر تساؤلا يحمل الحيرة والقلق ، وشهوة الانتظار (ترى يعود السندباد) وفى تساؤله يخلق حالة للسندباد موازية لحالته المغلفة بالشك :

" اليوم أنجز السفين ..أجدل الحبال ..أنشر الشراع

أودع الصحاب والأحاب

لرحلة خلف المدى

خلف الشجون والدموع والعرق

أحمل من تراب أمسى قبضتي تذكرا

على أعود – إذ أعود – بالنضار

فأبهر الورى وأخطف القلوب ..أخطف الأبصار

ترى يعود السندباد ؟

ترى يعود للقلوب الاخضرار ؟" (١)

ومن الشخصيات الفولكلورية التي تنتمي إلى " ألف ليلة وليلة "، وشاع استخدامها في الشعر المعاصر : شخصيتا : شهريار ، وشهر زاد ، وقد ارتبطت هاتان الشخصيتان بقضايا الشاعر المعاصر ، وأهمها قضية الصراع بين المثقف والسلطة ، فشهر يار كما تقول "الليالي " يسعى لاجتياز مشكلته بإراقة الدماء ، فهو

1- عبد المنعم عواد يوسف : هكذا غنى السندباد ، ص ٩٣، ٩٢.

السلطان الطاغية ؛ الذي يقتل في كل ليلة واحدة من النساء – تكون بكرة – انتقاماً لما قامت به زوجته من فعل فاحش، حيث خانتته مع أحد عبيده ، فيقتلها ويتخلص منها ، ويجتاز أزمة نفسية حادة ، ثم يتزوج كل ليلة فتاة عذراء ، ويقتلها في الصباح .حتى اضطر الناس إلى الهرب وترك المدينة خوفاً على بناتهم .

ويتحول شهريار من طغيانه ووحشيته إلى ذلك الإنسان الوديع الحكيم ؛ بعدما تزوج من شهرزاد ، التي استطاعت أن تلعب دور المخلص ، حيث خلصت الفتيات من سطوته ، وحالت بينه وبين التهور والانحراف ، بأقاصيصها وأحاديثها الجذابة الشائقة، فردت إليه الثقة في المرأة .^(١)

لقد وجد الشعراء في شخصية شهريار مناخاً ملائماً للتعبير عن قضية الصراع بين السلطة والمثقفين ، حيث تبدو ملامح السلطة بكل معطياتها في شخصية شهريار ، فالشاعر أحمد سويلم في قصيدة (شكوى شهريار الفصيح) يتخذ شهريار رمزاً للسلطة الباطشة ، ويكشف من خلاله عن عنق الصراع الدائر بينها وبين المثقف ، بين الكلمة والسيف :

"عنكم اسكتنى الخفراء

سلبوا خبزي وشعيري ..وليالى الألف

قلبوا أكوابي ..نسجوا من أحلامي المقهورة

ألوان الطيف

جعلوا دمعي مطر الصيف

رحت أجادلهم بالشكوى ..والسلوى..والكلمات

1- انظر : سهير القلماوى : ألف ليلة وليلة ، المجلد الأول (القاهرة: دار المعارف ١٩٥٩) ص٥ وما بعدها .ود. عبد الحميد يونس : معجم الفولكلور ، ص٤٤ وما بعدها .

لكن منطقهم كان السيف
مدو خط العمر .. وخط القلب .. وخط الخوف
خنقوا أيامي في كفى
أعترف الآن

أنى أتقادم أثمار الزمن على فودي " (١).

و " شهر زاد" كما تقول " الليالي " هي ابنة الوزير ، وقد قبلت الحياة ، خادمة أو جارية ، بل زوجة – ولو لليلة واحدة في بلاط السلطان " شهريار " ، تنتظر الموت في أية لحظة . عرفت بالحكمة والوعي والحيلة وسعة العقل ، والقدرة على مواجهة الشر / شهريار واستطاعت بثقاقتها أن تروض " شهريار " ونقضى على طغيانه ؛ بأحاديثها الشائقة التي استمرت ترويها له ، مع بترها كل ليلة عند جزء مثير ؛ لتضمن أن يتركها السلطان ، إلى الليلة التالية ؛ لكي تكمل له القصة ، حتى استطاعت أن تبقى على حياتها في رحاب الملك وبلاطه ألف ليلة وليلة . (٢)

وأخذت شهر زاد مكانة مرموقة في الشعر المعاصر ، حيث صارت تعبيراً عن قضايا معاصرة ، وكل شاعر يتخذها رمزاً لقضية يحياها وتؤرقه ، فقد استخدمها الشاعر محمد أحمد العزب في قصيدته (تصوري) رمز المعشوقة / الوطن ، التي يكابد عشاقها في حبها آلام الهوى والعشق ، هي كل عالمه ، تحاصره من كل الجهات، إنه العشق الذي يسكن نخاع الوطني:

" لن أكتب استقالتي من الرحيل فيك "

سجلي

أنا محاصر في عشق شهر زاد

1- أحمد سويلم : الشوق في مدائن العشق ، ص ٩٨ .
2- سهير القلماوى : ألف ليلة وليلة ، ص ٥ وما بعدها .

من مساء ألف ليلة وليلة ،

وسجلي،

إن المدى في عشق شهر زاده تضور!!" (١)

ومن الشخصيات الفولكلورية التي شاع استخدامها في الشعر المعاصر شخصية "مسرور" السيف ، وشخصية علاء الدين ، والوزير سالم ، وبدر البدور ، وسيف بن ذى وزن ، وأبو زيد الهلالي وغيرهم . وقد استخدمها الشعراء بصورة أقل من استخدامهم للشخصيات سالفة تناول.

الشخصية الأسطورية :

الأسطورة توأم الشعر ، فعودة الشاعر إليها إنما هو حنين الشعر لتراب طفولته، والأسطورة إذ تحتضنها القصيدة تتحول في بنيتها طاقة خالقة للأداء الشعري. حيث يتمثل فيها التراث الشعبي والعمل الجمعي بصورة عضوية توطن موقف الإنسان بالمعنى العام وقيمه امتداداً في الزمن الذاهب والآتي مضافاً إليه – بالضرورة – حاضره أيضاً^(٢).

ولم تكن معرفة الشاعر بالأسطورة جديدة ، وإنما هي قديمة قدم الشعر فلقد عرفها الشاعر القديم . وإن كان استخدامه لها استخداماً إشارياً ، فهي ذخيرة بدائية تكشف وتثير العقل الباطن الجماعي للإنسان^(٣).

أصبح الإنسان المعاصر أمام عالم يموج بالتغيرات الحضارية والنفسية ، وشهد انهيار كثير من القيم والمبادئ ، عالم كل ما فيه يسحق الإنسان سحقاً ، بالإضافة إلى

1- محمد أحمد العزب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ٧٩.

2- انظر : د. رجاء عيد : لغة الشعر ص ٢٩٥.

3- عبد الحميد زايد : الرمز والأسطورة الفرعونية ، عالم الفكر ، المجلد السادس عشر ، أكتوبر /نوفمبر ١٩٨٥ ص ٢٩.

طغيان الآلية، حيث أصبحت الآلة هي الوجه المعبر عن حقيقة العصر ، وفي مواجهة ذلك تقلصت ملامح الإنسان والإنسانية .

أما الشاعر المعاصر فقد أحس أمام الانهيارات والتصدعات الشاملة برغبة جارفة في الارتداد إلى النبع ؛ ليرشف من الماء العذب ، وينهل من المعين النقي ، فلجأ إلى الأسطورة بوصفها وسيلة من وسائله الفنية ، التي يستطيع – من خلالها – أن يخلق طقساً فطرياً بدائياً ، لم يعرف التلوث ، ويتطهر فيه من دون درن الواقع المعيش، ويواجه الحاضر المعقد بالماضي البدائي البسيط ، الذي يحمل قدرة خارقة على الفعل ، ويحاول من خلال الأسطورة أن يبرز للمتلقي جنونه الجميل ، ويجسد شعوره ووجدانه في أسمى حالاته وتجلياته ، آخذاً في اعتبار دور الفكر ، لأن عالمه الجديد ينهض – أساساً – على نتائج شعوره ورؤاه الفكرية .

والشاعر حين يعود إلى الأسطورة فإنه لا يعود إليها بوصفها تراثاً ثقافياً عن الأقدمين فحسب ، فيستخدمها استخداماً قصصياً من الخارج أى يعبر عنها ، دون أن يقف على رغبته الأساسية ، التي تكن في تفجير مخزون الأسطورة الانفعالي والوجداني والمعرفي ، فالأسطورة " يعاد خلقها ويعاد تحليل سياقها لتتخلق في رؤية جديدة ، وتصنع مظاهرات كونية ونفسية بواسطة اندماجها في بنية اللغة الشعرية ، وتكتسب في الوقت نفسه عقلانية فنية ، تتجاوز بها عقلانيتها المنطقية " .^(١)

والتعامل مع الأساطير يحتاج قدرات خاصة ، وشاعرية واعية فيعيد الشاعر صياغتها وفقاً لتجربته ورؤيته الخاصة ، ولا يكتفي بحدودها الثابتة في التاريخ ، فتعامله معها " يخضع- أو ينبغي أن يخضع – لنفس المبادئ التي تحكم استخدام الرمز الشعري .ذلك أن الأسطورة أقرب إلى أن تكون جمعاً بين طائفة من الرموز المتجاوبة،

1- د. رجاء عيد : لغة الشعر ، ص ٢٩٦ .

يجسم فيها الإنسان العربي بصفة عامة والشعراء بصفة خاصة ، حيث شهدوا الانكسارات التي خلفتها الحرب العالمية الثانية ونكبة فلسطين ونكسة يونيو ٦٧. فحاولوا الشاعر أن يخلق لنفسه عالماً خاصاً يحميه من قسوة ذلك الواقع ، وتصدعاته الاجتماعية ، فاستطاع أن " يعيد استخدام الأسطورة القديمة من خلال اعتماده على رصيدها من الرموز الانفعالية ليخلق الأسطورة المعاصرة ، وتجربة الشاعر هنا تجربة ممتدة داخل الوجود الإنساني في كل مواقف التاريخ " (١).

وفي الوقت نفسه أيقن المبدع المعاصر أن "الأسطورة ليست مجرد نتاج بدائي ، يرتبط بمراحل ما قبل التاريخ أو بعصور التاريخ القديمة في حياة الإنسان ، وأنها لا تتفق وعصور الحضارة ، وإنما هي عامل جوهري وأساسي في حياة الإنسان في كل عصر ، وفي إطار أرقى الحضارات " (٢).

ويعد الشاعر والناقد الإنجليزي ت.س. إليوت أحد المصاييح التي كشفت آفاق الأساطير وأهميتها للشاعر العربي المعاصر ، وما فيها من ثراء وطاقات تعبيرية ، كما فعل في قصيدته " الأرض الخراب " ، حيث استخدم أسطورة الخصب ، تعبيراً عن حب عظيم ، وتأكيداً لقدرة الإنسان على التضحية والعطاء وكان أكثر ما جذب الشعراء فكرة الموت القرباني الذي يؤدي إلى الولادة الجديدة .

وقد كان هدف إليوت من وراء انحيازه للنهج الأسطوري هو البحث عن أداة تعبيرية ، تتمثل في اللغة ، تكون موحية ورامزة ، تجنح للخيال ، وتستوعب غموض الحياة ، وتنافر معطياتها وزحمها ، " وقد وجد إليوت أن هذه اللغة هي الرموز ، ومنطقها هو منطق الخيال " (٣).

1- د. السعيد الورقي : الأسطورة .. وأثرها في الشعر العربي المعاصر ، مجلة " الكاتب " العدد ٢٠٠ ، نوفمبر ١٩٧٧ ص ٩٧.

2- د. عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر ، ص ١٩١.

3- د. عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر ، ص ١٩٨.

واستخدم الشعراء المعاصرون الشخصيات الأسطورية مدركين أن " كل شخصية من هذه الشخصيات لها تجربتها الخاصة الواقعية ، أو الممكنة ، ولكنها في الوقت نفسه تلخص وجهاً من وجوه التجربة الإنسانية الشاملة الممتدة " (١).

وتصبح الشخصية الأسطورية أكثر فعالية إذا قامت بدورها في إثراء التجربة الشعرية ، والشاعر لابد أن يكون واعياً بهذا الدور ، قادراً على إنتاج دلالتها المتجددة من خلال السياق ، فإذا لم يكن على علم بأصولها التراثية ومغزاها الرمزي أخفق في غايته .

وتعد الشخصية الأسطورية من أخطر الشخصيات التراثية التي يتم استدعاؤها ، لأن نجاح الشاعر في استخدامها يتوقف على الالتحام بالشخصية ، وتقديمها للقارئ في زى يستطيع أن يتعاطف معه ، أى لابد من وجود أرض مشتركة حتى يلج القارئ إلى عالم النص.

وكثير من الشعراء يخفقون في استخدام الشخصية ، لأنهم غير ملمين بالمرجعية المعرفية لهذه الشخصية . والتجربة تستغل على القارئ خصوصاً إذا كان هو كذلك غير ملم بأبعاد الشخصية وأصولها . ومن هذا المنطلق " كان استخدام الأسطورة في الشعر محاولة للارتفاع بالقصيدة من تشخصها الذاتي إلى إنسانيتها الأشمل والأعم ، وإكسابها بعداً أعمق ، ومجالاً أفسح ، وتأثيراً أرحب ، لتتجاوز – في الوقت نفسه – الأنى المحدد الزمنية إلى (الجوهر) الممتد في الزمنية المطلقة (٢).

ومن الشخصيات الأسطورية التي استخدمها الشعراء المعاصرون في قصائدهم بكثرة أسطورة إيزيس وأوزيريس وحورس من الموروث الفرعوني ، وقد " أحب

١- السابق ص ١٧٦.
٢- د. رجاء عيد : لغة الشعر ص ٢٩٨.

الناس هذه الأسطورة ليس في مصر وحدها ، بل أحبها أهل أوروبا منذ أكثر من ألفى عام ، ومن الطبيعي أن طيبة الملك قد جذبت الناس حينما تعرض لعدوان أخيه "ست" وتعرض لولده حورس وأمه إيزيس للعدوان أيضا "(١). ويضيف ردولف سبباً آخر لتعلق الأوروبيين بهذه الأسطورة فيقول : " إن أسرار إيزيس التي أسست عليها فكرة القرن الثامن عشر عن أوزيريس التي عبر عنها في " الناي السحري" لموتسارت قد أضفت على قصة إيزيس وزوجها المتوفى سمات أقرب إلى المظهر الروحي منه إلى الجسدي "(٢).

فايزيس قد نالت اهتماماً كبيراً من الشعراء فاستغلوا فيها – ملمح الإخلاص والتفاني تجاه زوجها عندما قامت قتله وتمزق أشلائه – ثم أعادت إليه الحياة ، فهي رمز الحب بالبحث عنه – بعد والعطاء .

وهذا الملمح في شخصية إيزيس يتطلع إليه الشعراء بوصفه حلمًا حيال تمزقهم ومكابداتهم اليومية وإحساسهم بالتمزق والانكسار ، فالشاعر كامل أيوب يتخذها في قصيدته " بردية " رمزاً للوطن الذي يتطلع إليه كي يعيده للحياة فاعلاً ، في جسده الاخضرار :

" إيزيس لمي عظامي ..

وكل أشلاء جسمي الموزع المطروح

وعندها فلتغنى بلا حداد أمامي

ثم اغرسيني فروعاً على الذرى والسفوح " (٣).

1- عبد الحميد زايد : الرمز والأسطورة الفرعونية ، ص ٤٤ .

2- نقلاً عن السابق نفسه.

3- كامل أيوب : إبداع ، أكتوبر ١٩٨٦ ، ص ٤٥ .

استطاعت إيزيس أن تستأثر بقلوب الشعراء ، الشعراء المصريين على وجه الخصوص ومنشأ هذه المحبة التي فاضت بها قلوب المصريين نحو إيزيس ، هو أنها كانت – في نظرهم – المثل الأعلى للأم الحنون والزوجة الوفية ، التي تفانت في حب ابنها حورس وفي الإخلاص لزوجها أوزيريس عندما قتله أخوه ست ، أعادته إيزيس إلى الحياة بفضل قواها السحرية ، وتكفلت بتربية ابنها حورس بعيداً عن عمه ، حتى نما وترعرع وانتقم لأبيه من عمه (١) .

أما أوزوريس فهو ذلك الإنسان الذي يتعرض للأذى والبأس والبطش والتآمر ، فقد قتل على يد أخيه ست في " نديت أوجحستى " حتى يقصيه عن الحكم وتنول إليه الأمور .

عبد المنعم عواد يوسف في قصيدته (الخروج من وادي الموت) يستخدم أسطورة أوزوريس للتعبير عن موقف المثقف الأعزل في مواجهة السلطة الباطشة ، يتبلور في ملامحه الجذب والسلبية ، والمعاناة ومكابدة الألم ، وقد أحدث الشاعر – في استدعائه للشخصية – نوعاً من المفارقة ، فأوزوريس هو رمز الخضرة إذ إنها طابعه المميز :

" أحدثكم ..

على أن تكتموا ما سوف أذكره

حذار أن تحكوه للناس ..

لكيلا تبذروا فيهم بذور الشك

أقول لكم ..

رأيت هناك أيزوريس مصلوباً على صخره ..

1- انظر : د. إبراهيم نصحي : تاريخ مصر في عهد البطالمة (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨١) ط٥ ص٢٠٠.

وعيناه مفتحتان ..

بوادي الموت كان هناك مصلوبا على صخره

لم تك فيهما خضرة

ولم تك فيهما خضرة

ولم تك تنبت الأزهار في ساقيه

لم تنفجر النضرة .." (١).

أما الطرف الثالث في الأسطورة الفرعونية والمكمل لها فهو " حورس الابن " ،
الذي انتقم لأبيه من عمه ست ، بعد معركة دارت بينهما حول ميراث حكم أوزيريس ،
وقد حدث أثناء المعركة بينهما " أن سرق ست عين حورس الذي أصبح بعد ذلك
أوزيريس واستردها حورس الصغير ابن أوزيريس أثناء معركة بينه وبين ست حملها
إلى أبيه القتيل " (٢).

وقد وجد الشعراء في أسطورة حورس كثيراً من المعطيات الإيحائية والدلالية
خصوصاً ملمح الثأر بوصفه الحياة في أسمى مفاهيمها رغبة منهم في الخلاص ،
وتطلعاً إلى حلمهم في المجد العربي رمز المخلص المنتظر ، المنتقم الذي يبدد قشة
الخوف ، ويكتب غدا مشرقاً:

" حورس يا وليد الثأر

قم واحمل خلاص أبيك ، لا تجبن

ويبقى الزند ممتداً بطول الحلم " (٣).

1- عبد المنعم عواد يوسف : هكذا غنى السندباد (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢) ص ٥٩.

2- عبد الحميد زايد : الرمز والأسطورة الفرعونية ، ص ٤٧.

3- عبد المنعم عواد يوسف : لكم نيلكم ولي نيل ، ص ٧.

وهناك بعض الشخصيات التي شاع استخدامها بين الشعراء " سيزيف" حيث استخدمت رمزاً للجهود الضائعة والأعمال الشاقة المضنية التي يقوم بها الإنسان .
وهناك بعض الشخصيات التي استخدمت استخداماً جزئياً مثل تموز ، وعشتار ، وأدونيس ، وأحمس وغيرهم .

الشخصية الأجنبية :

إذا كان التراث العربي قد امتزج بقضايا الشاعر المعاصر ، وأصبح أداة من أدوات التعبيرية – بالإضافة إليه كأداة ثقافية – هيمن على معظم تجاربه ، فإن التراث الإنساني قد شارك في إثراء عالمه الشعري الجديد ، ومده بالزاد – وفتح أمام عينيه آفاقاً رحبة .

فانتشرت – من عناصر التراث الأجنبي – الشخصيات الأجنبية في قصائد الشعراء المعاصرين منها : الشخصيات القديمة التي ارتبطت بملامح دلالية في ضمير الوعي الجمعي ، ومنها الحديثة التي تشابهت قضاياها وهمومها مع قضايا الشاعر المعاصر وهمومه ، فالقضايا والهموم تكاد تكون واحدة ، لأنها قضايا الإنسان والإنسانية وهمومها .

وقد تنوعت الشخصيات الأجنبية التي استدعاها الشعراء المعاصرون ، معظمها شخصيات شعراء ، فالشعراء يحملون بين جوانحهم شهوة إصلاح العالم على حد تعبير " شيلي "، ويحملون بعالم سعيد ، يكابدون آلام آرائهم وأفكارهم ومبادئهم .

أحس الشعراء العرب أن الشخصيات الأجنبية تصلح لحمل أبعاد تجاربهم وهمومه إلى المتلقي العربي سيواجه صعوبة في التلقي والتواصل ؛ لجئوا إلى وسيلتين

عند استدعاء هذه الشخصيات الأجنبية ، فبعضهم لجأ إلى طريقة التعريف بالشخصية في ثنايا النص ، مثلما فعل صلاح عبد الصبور في قصيدته : " فصول ":

" أبغى أن أجلس جنب صديقي " اوبرستاد "

(من أسلو بالنرويج ، ويكتب شعراً يتردد فيه حرف الخاء كثيراً)

أو جنب صديقي ايفتو شنكو

(من موسكو .. كان هنا ضيفا منذ سنين)

أو جنب صديقي براهني

(من إيران)

أبغى أن أجلس جنب صحابي الشعراء

من شتى البلدان

وأنا لست بخجلان

أبغى أن أتحدث ، أتلاعب باللفظ الجزلان " ^(١).

وهذه الطريقة التي لجأ إليها صلاح عبد الصبور قليلة ، وتكاد تكون نادرة ، على أساس أن الشخصية تكتسب وجودها انبثائها النصي ، تتكشف ملامحها مع تنامي السياق .

أما الوسيلة الثانية التي لجأ إليها الشعراء في تعاملهم مع الشخصية الأجنبية فهي التعريف بها في هامش أسفل القصيدة . وهذا النوع هو الشائع في كشف غموض القصائد وإزالة إبهامها ، حتى يتمكن القارئ من التواصل مع العمل الشعري ، لأن معرفة الشخصية يتوقف عليها التواصل ، ولا يستطيع المتلقي أن يلج إلى عالم النص إلا بعدما يتعرف ملامح الشخصية المهنية بالاستدعاء يعرف .

1- صلاح عبد الصبور : الأعمال الكاملة ، ص ٥٢٦.

وهناك بعض الشخصيات التي أصبحت تملك رصيذا معرفيا في ضمير الوعي الجمعي ، وأصبحت ذات ملامح معروفة لدى المتلقي ، لكثرة تداولها ومطالعتها ، وارتباطها بقضايا معاصرة ، لا تحتاج إلى تعريف سواء أكان ذلك في متن القصيدة أم في هامشها .

ومن هذه الشخصيات الأجنبية التي ارتبطت بقضية تراثية / معاصرة شخصية "لوسياس" وهو خطيب يوناني شهير عاش بين عامي ٤٠٩-٣٨٠ ق.م. في عصر بركليس الشهير، وكان لوسياس من أكبر المدافعين في خطبه عن الديمقراطية الأثينية، فلما كان الانقلاب الديكتاتوري طارد مجلس الثلاثين لوسياس ففر عام ٤٠٤ ق.م من أثينا إلى ميجارا ، وصودرت أملاكه ولكنه لم يبيت أن عاد إلى أثينا في عام ٤٠٣ ق.م^(١).

وقد استخدم أحمد عبد المعطى حجازي لوسياس رمزا للتمسك بالرأي والالتزام بالمبدأ والموت في سبيل القضية ، إنه المفكر الذي يقود بوعيه المجتمع إلى الأمام ، فيقول حجازي في قصيدته جرنیکا :

" كان لوسياس على سجادة البهو قتيلا :

هذه خطبته الأولى

التي توج فيها بامتشاق السيف أغنياته للحق

لكن بعد أن فات الأوان

سقط السيف من الكف التي كم رفرفت ،

فوق رعوس الناس بالحكمة

في الستين يالوسياس ،

1- د. لويس عوض : دراسات أدبية (القاهرة : دار المستقبل العربي ١٩٨٩) ص ١١٣.

لن تحسن تلك المهنة الأخرى ،
ولو صرت اشتراكيا ،
وقاسمت أرقاء أثينا الخبز والخمر ،
وهل كنت أخذت النصر بالسيف
لكي تمنعه بالسيف ؟
لا بأس إذن
أن يقتل الجند خطيباً
تحت سقف البرلمان " (١).

ومن الشخصيات المعاصرة التي استخدمها الشعراء ولها ملامح واضحة لدى
المتلقي العربي شخصية الشاعر الأسباني " جارسيا لوركا " ، فقد استخدمه الشاعر
وليد منير في قصيدته " الضياع على أرصفة القطارات البعيدة " دالاً على المكان /
الحضارة العربية الضائعة في بلاد الأندلس ، التي سارت إلى موتها الحتمي على يد
العرب أنفسهم :

" أرى امرأة دونك الآن تهوى إلى القاع ، تسترق السمع ، جثة
النهر ، تمرق بين خلايا الجذور ، تقاسمني الخبر والريح
حين أعود ،..أرى رجلاً من غباء الرجال يشد الرحال إلى قبر لوركا)
ضفائرك باقة زهر ، ووجهك أغنية حجرية " (٢)

ومن الشخصيات الأجنبية التي وظفها الشعراء في قصائدهم شخصية شارل
بودليير رمز النزعة الشريرة ، وشخصية تشيكوف الأديب الروسي.

1- أحمد عبد المعطي حجازي : كانتات مملكة الليل (بيروت : دار الأدب ١٩٧٨) ط١، ص٧١، ٧٢.

2- وليد منير " مجلة الكاتب " ، العدد ١٩٠، يناير ١٩٧٧، ص٨٠.